الدلالة التركيبية في سورة الصافات

م.م أحلام عبد المحسن صگر
كلية التربية- جامعة ذي قار thiqaruni.org

المقدمة :

إن دراسة البنية التركيبية هي محاولة للبحث الإجرائي في دلالة الجمل ونظامها البنائي الذي يشكل النظم الأخرى في السور القرآنية ودلالاتها العالية الأداء الفهمي والتوصيلي ، ويبدو أنّ الهدف من دراسة دلالة التركيب هو رصد التحولات الكلامية والكشف عن الأثر الدلالي الذي تنتجه سورة الصافات من سياقات الفهم والاستيعاب عند متلقيها بمعنى أننا لا نسعى من وراء البحث عن المكون الدلالي المعجمي بل نسعى إلى البحث عن المكون الدلالي الناتج عن نظم نحوية تركيبية اعتمدت عليها بنية سورة الصافات أساساً رئيساً في تأسيس وحدة الفهم والاستيعاب المنظومي في إطار الدلالة تجسيداً للمعنى المقصود في وحدة التأويل المعنوي لنتاج فهم النص وتفسير سياقاته المنضوية تحت إطار مفاهيمه النصية وما يفرزه ذلك النتاج النصي من قدرات يستوعبها متلقيه ويعد نتاجه من جديد . وهذا ما سنجده في دلالة أهم مكونات البنية التركيبية من الذكر والحذف والتقديم والتأخير والإظهار والإضمار وغيرها في سورة الصافات ميدان التطبيق في البحث الإجرائي مبتدئين بالذكر والحذف ودلالاتهما .

١- الذكر والحذف :

يعد أسلوب الحذف شكلاً من أشكال التحولات الأسلوبية التي تطرأ على بناء الجملة العربية ، إذ ان من مقتضيات الدلالة انها تتطلب الدقة والتثبت في تراكيبها ، فلا تأتي بها مطنبة مملة ولا توردها موجزة مخلة ، فهي تصطفي من هذين ما اتسق وأبان ولاح في الصحة والإبلاغ من مكامن الأسرار ورفعة البيان . قد يستحسن بها ولا يستحسن بها الحذف وهما أدخل في الإحساسات والمشاعر المنبعثة من ترتيبها في خطرات النفس ،وهذا ما يمكن ان نفهمه من قول الجرجاني ((وإذ عرفت هذه الجملة... فاعلم ان ذلك سبيله في كل شيء فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي ان يحذف فيها الا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به)) (١).

ومن مصاديق هذا المفهوم في ميدان البحث الإجرائي ودلالاته التركيبية في سورة الصافات :

قوله تعالى : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) (٢) فقد كان للذكر فيه دلالة صافية ينظر فيها المعنى بوضوح ولا يمكن الاستغناء عنها بالحذف ، وقد ((ذكر المشارق لأنها مطالع الأنوار والأبصار بها أكلف وذكرها يغني عن ذكر المغارب ، إذ ذاك مفهوم من المشارق)) (٣) .

ومما يلحظ أيضاً قوله : (وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) أي مشارق الشمس باختلاف الفصول أو المراد مشارق مطلق النجوم أو مطلق المشارق ، وفي تخصيص المشارق بالذكر لطلوع الوحي بملائكته من السماء وقد قال تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)(٤)، وقال : (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) (٥))) (٦) .

أما الحذف فيؤتى به في عدة مواضع لأغراض ومعان مختلفة قد يجليها السياق ويستنبطها المتلقي من القرائن التي تومئ إلى الدلالة المقصودة . وهو من الظواهر التي عرض لها اللغويون العرب وأولوها عنايتهم و((قد حذفت العرب الجملة والمفرد ، والحرف ، والحركة ....)) (٧) . إذن فـ ((هو تصرف تصفى به العبارة ويشتد به أسرها ويقوى حبكها ويتكاثر إيحاؤها ويمتلئ مبناها ، وتصير أشبه بالكلام الجيد وأقرب إلى كلام أهل الطبع ، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس ، وقدرة البيان ، وصحة الذكاء ، وصدق الفطرة)) (٨) .

وقد يكون لكثرة الاستعمال سبب في وقوع ظاهرة الحذف ، لما فيه من التخفيف الذي يتجه إليه الناطقون بفطرتهم (٩).

ومن أمثلته في سورة الصافات :

حذف حرف النون من اسم الفاعل (ذائقون) في قوله تعالى : (إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) (١٠) فالعذاب خفض للإضافة ويجوز في الكلام النصب على أن يعمل فيه (لذائقو) ويقدر حذف النون استخفافاً للإضافة (١١) ،أو حذف كلمة كقوله تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)(١٢) ، قال الطوسي في تقدير المعنى : ((والتقدير (ورب الصافات) وحذف لما ثبت من أن التعظيم بالقسم لله وجواب القسم قوله : (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ)(١٣))) (١٤) أو في الفعل كما في قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ(٧))) (١٥)،قال الاخفش :(وقال :(حفظاً)لأنه بدل من اللفظ بالفعل كأنه قال:(وحفظناها حفظاً) (١٦) أو حذف المضاف وأقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى : (أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) (١٧) قال الطوسي : ((معناه انكم تريدون عبادة الآلهة دون عبادة الله ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما قال : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) (١٨) أي أهلها ، الإرادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه وهذه الأجسام ليست مما يحدث فلا يصح إرادتها)) (١٩) .

أو قد يقع الحذف في المتعلقات كحذف المفاعيل مثل قوله تعالى : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) (٢٠) قال الطوسي في تقدير المعنى : ((ثم دعا إبراهيم ربه فقال : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) يعني ولداً صالحاً من الصالحين ،كما تقول أكلت من الطعام ،وحذف لدلالة الكلام عليه،فأجابه الله تعالى إلى ذلك وبشره بغلام حليم أي حليماً لا يعجل في الأمور قبل وقتها)) (٢١).

أو في المصدر كما في قوله تعالى : (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(٢٢) قال مكي في تقدير المعنى:((الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره (جزاء) كذلك نجزي))(٢٣) .

ومن مواضع الحذف الأخرى في سورة الصافات قوله تعالى :(وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) (٢٤) ذهب المفسرون في تقدير المحذوف إلى قولين هما (٢٥) :

الأول : معناه ما منا ملك الا له مقام محذوف ومعناه لا يتجاوز ما أمر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حدّ له فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة وهو عبد مربوب ، على أن الملائكة تبرأت ممن يعبدها وتعجبت من ذلك .

الثاني: تقديره وما منا الا من له مقام ، فحذف الموصول وأبقى الصلة وهو بعيد جداً .

نلاحظ مما تقدم ان الأصل في التعبير الإفادة في بلوغ المقاصد الدلالية أي إفادة السامع معنى يحسن السكوت عليه ، فهذا هو التناسب الدلالي الذي تبتغيه البلاغة ذلك بوصفها : ((مراعاة المقامات والأحوال ، فالذكر في موطنه بليغ مطابق والحذف في موطنه بليغ مطابق)) (٢٦).يؤدي المعنى المقصود ويمنح النص القدرة التوصيلية والافهامية عند متلقيه وعندئذ تكون القراءة قراءة منتجة استوعبت سياقات النص الافهامية .

٢- التقديم والتأخير :

تكاد سمة كلّ كلام رفيع في موافقته قوانين تلك اللغة التي جاء بها وتكتمل هذه السمة جمالية إذا طابقت مقتضى الحال ودواعي المقام .

فالتقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية تنتج على مستوى التركيب لتشكل بعداً دلالياً ، إذ تمثل حركة التحول داخل الجملة ، أي أن التحول يبرز في البنية السطحية بانتقال المكونات التركيبية والدلالية من مكان إلى آخر على امتداد أفقية الجملة بمعنى انه يختلف عما سبقه من تحولات في الذكر أو الحذف (٢٧)، وهي تحولات ناتجة في الحركة العمودية التي تصيب مكونات التركيب وهي في مكانها الأصلي وموقعها داخل السياق ، وقد قال عنه عبد القاهر الجرجاني : ((هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي إلى لطيفه ...ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)) (٢٨) .

ومن مواضع التقديم والتأخير في سورة الصافات قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(٦) وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ(٧)) (٢٩) فيلحظ أنه نصب (((وحفظاً) على المصدر أي : وحفظناها حفظاً أو على المفعول من اجله على زيادة الواو ، أو على تأخير العامل أي ولحفظها زيناها بالكواكب وحملاً على معنى ما تقدم لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً)) (٣٠) .

ومنه تقديم (قوم نوح) لما ذكر ضلال الأولين في قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

فِيهِمْ مُنذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ(٧٤) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٧٥)) (٣١) .

قال أبو حيان : ((واستثنى المخلصين من عباده ، وهم الأقل المقابل لقوله : (أكثر الأولين) والمعنى الا عباد الله ، فانهم نجوا ، ولما ذكر ضلال الأولين وذكر أولهم شهرة وهم قوم نوح عليه السلام ، تضمن أشياء منها الدعاء على قومه وسؤاله النجاة وطلب النصرة وأجابه الله تعالى في كل ذلك إجابة بلغ بها مراده)) (٣٢).

ومنه التقديم للدلالة على التشريف كما في قوله تعالى : (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) (٣٣) إذ قدم ذكر النبي (محمد صلى الله عليه وآله) تشريفاً وتفضيلاً وتقدير المعنى : ((ان من شيعة محمد (صلى الله عليه وآله) إبراهيم يقول على دينه ومنهجه فهو من شيعته وان كان إبراهيم سابقاً له ،وهذا مثل قوله (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) (٣٤)أي ذرية مَن هو منهم فنجعلها ذريتهم وقد سبقتهم)) (٣٥).

ومنه تقديم المفعول به ومثله قوله تعالى : (إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) (٣٦) ، قال أبو حيان : ((وأجازوا في نصب (أإفكاً)

وجوهاً أحدها : ان يكون مفعولاً لتريدون والتهديد لامته وهو استفهام تقرير ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكره الزمخشري قال : فسر الافك بقوله : آلهة من دون الله على أنها أفك في أنفسهم ، والثاني ان يكون مفعولاً من أجله أي تريدون آلهة من دون الله إفكاً ، وآلهة مفعول به وقدمه عناية به وقدم المفعول له على المفعول به ، لأنه كان الأهم عنده ان يكافحهم بأنهم على أفك وباطل في شركهم))(٣٧) ، إذ الأصل ان يأتي المفعول به بعد الفعل والفاعل لكنه قد يقدم عليهما لغاية يقصدها المتكلم .

٣- التنكير والتعريف :

يعد التنكير الأصل في الكلمة ((لكونه مطلقاً ثم يأتي التعريف ليحصر نوعه ويقيده بواحدة من أوجه التعريف المعروفة عند النحاة)) (٣٨) إذ يظهر أن النكرة لا تلتمس عبر أداة تميزها عن غيرها في حين يأتي التعريف بطرائق ومسارات تنقل المفردة من الإطلاق إلى التقييد تبعاً لأسباب ومستحقات تمنح الكلمة تعريفها أو تنكيرها .

وقد أخذت هذه الخصيصة حيزاً مهماً في النص القرآني الكريم لما تحمله من دلالات ، ونبدأ مع التنكير تبعاً لما ذكرناه من البدء بالأصل والإطلاق فهي تفيد معناها مطلقاً من كل قيد ، أما ما ذكره علماء البلاغة من معانٍ استفيدت من النكرة فإنها لم تفدها بطبيعتها وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه فكأنما هو الذي يصف النكرة ويحدد معناها (٣٩) ، فهنا إشارة واضحة إلى دور السياق في إظهار دلالة النكرة وتحديد المعنى .

ومن مظاهر التنكير وخصائصه الدلالية في سورة الصافات :

(سَلَامٌ) في قوله تعالى : (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) (٤٠) فهنا نكرة وهي سلام وأي سلام هو بالغ في العظمة وقد ساغ الابتداء بهذه النكرة لما فيها من معنى الدعاء قال ابن الانباري : ((سلام مرفوع لأنه مبتدأ وعلى نوح ، خبره ، وجاز الابتداء بالنكرة لأنه في معنى الدعاء كقوله تعالى : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)(٤١))) (٤٢) .

والتعريف والتنكير ظاهرتان متقابلتان من الظواهر التعبيرية التي يهتم ببحثها علم المعاني (٤٣) ، ويأتي التعريف بستة طرائق وهي ما أطلق عليه النحاة بالمعرفات وهي الضمائر والعلم و اسم الموصول و اسم الإشارة و المعرف بأل والمعرف بالإضافة ، ولا يخفى أهمية الجانب السياقي في إيثار التعريف على التنكير في القرآن الكريم إذ لا تتم عملية التحول هذه من دون ان يكون هناك داع بلاغي لهذا الأمر .

ومن مظاهر التعريف بالإضافة (بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) في قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) (٤٤) فقد أضيفت الزينة إلى الكواكب ((وهي قراءة العامة * ، وعن الأعمش أنه قرأ (بزينة الكواكب) بخفض الكواكب بالتكرير فيرد معرفة على نكرة كما قال : (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ(١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) (٤٥) فرَّد نكرة على معرفة)) (٤٦) .

ومن مظاهر التعريف الألف واللام المعرفة ويأتي التعريف بها اما حالةً أشارية إلى معهود خارجي أو معهود ذهني أو حضوري أو تكون هذه اللام إلى استغراق الجنس(٤٧) ، فمن التعريف باللام (الخطفة) في قوله تعالى : (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (٤٨) قال العكبري : ((و(الخطفة) مصدر ، والالف واللام للجنس أو للمعهود منهم)) (٤٩) .

ومن مظاهر التعريف الأخرى إضافة اسم الفاعل في قوله تعالى : (إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) (٥٠) قال الانباري :

((العذاب مجرور بالإضـــافة ولهذا حذفت النون من (لذائقو) وقرأ : إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ ، بالنصب لأنه قدر حـــذف النون للتخفيف لا للإضافة وهو رديء في القياس)) (٥١) .

٤- الفصل والوصل :

لا يخفى على المهتم بمعاني النظم ما لهذه الظاهرة التعبيرية (الفصل والوصل) من حضور في دلالة التركيـــب ، والدور الذي يؤديه أسلوب العطف في هذه الظاهرة إذ ان الفصل والوصل ((قاعدته العظمى حروف العطف وينعطف عليها حروف الجر وتكـون تابعة لها ، فأنه يتعلق بكل واحدٍ منها أسرار)) (٥٢) .

وقريب من هذا المعنى أكد عبد القاهر الجرجاني ان ما ((يضع في الجمل من عطف بعضـــها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحد منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه الا الأعراب الخلص)) (٥٣) .

إذن يكمن في الفصل والوصل سر بلاغي ولا يقترب من هذه الآلية التركيبية مع فهم السر البلاغي الا الأعراب الخلص ، و بين ذلك الجرجاني وقد وضع علماء البلاغة حدوداً للفصل والوصل إذ ان ((الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة منها عظيم الخـــطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه الا من أوتي في فهم كلام العرب طبـــعاً سليماً ورُزِق في إدراك الأسرار ذوقاً صحيحاً)) (٥٤) .

ومن هنا يجب أن نفهم القدر الرابط بين الجملتين ، فإن لم يكن هنـــاك قدر جامع بينهما فيكونا متباينين ، وإذا كانا متباينين تفصل الجملة عن الأخرى .

وإذا كان بينهما رابط توصل ، والرابط قد يقتـضي أن يقع بين الضدين أو المثلين أو النظيرين. ومما ورد على سبيل الوصل قوله تعالى : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) (٥٥) . فـ (احشروا) خطاب من الله للملائكة أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض، أي اجـــمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات و((قرأ عيسى بن سليمان الحجازيّ : (وأزواجهم) مرفوعاً عـــطفاً على ضمير (ظلموا) ، أي وظلم أزواجهم)) (٥٦) وهي في القرآن منصوبة أي أنها معطوفة على (الذين ظلموا) (٥٦) .

أو كقوله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ(٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ(٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) (٥٧) قد يوصل المعنى بين الجملتـين على الرغم من اختلافها من حيث الزمن امتداداً لدلالة السياق وتأكيداً لقرائن الأحوال والمقام إذ ان ((تساؤلهم في الجنة سؤال راحة وتنعيم ، يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا والإيمان وثمرته و(فأقبل) معطوف على (يطاف عليهم) والمعنى : يشربـــون فيحدثونه على الشراب كعادة الشـــراب في الدنيا... ، وجيء به ماضياً لصدق الأخبار به ، فكأنه قد وقع ، ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكى يتذكر بذلك نعـــمه تعالى عليه حيث هداه إلى الإيمان واعتقاد وقـــوع البعث والثواب والعقاب ، وهو مثال للتحفظ من قرناء السوء والبعد عنهم)) (٥٨) ومنه قوله تعالى : (فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ(٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ(٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) (٥٩) . نلاحظ أهمية الوصل لأنه لا بد ان تكون هناك صلة معنوية وثيقة برابط دلالي ، جاء في البحر المحيط : ((ولما ذكر انهم يملؤون بطونهم من شجرة الزقوم للجوع الذي يلحقهم أو لإكراههم على الأكل وملء البطون زيادة في عذابهم ، ذكر ما يسقون لغلبة العطش ، وهو ما يمزج لهم من الحميم ، ولما كان الأكل يعتقبه ملء البطن كان العطف بالفـــاء في قولـه تعالى : (فمالئون) ولما كان الشرب يكثر تراخيه عن الأكل ، أتي بلفظ (ثم) المقتضية المهملة ، أو لما امتلأت بطونهم من ثمرة الشجرة وهو حار أحرق بطونهم وعطشهم فأخر سقيهم زماناً ليزدادوا بالعطش عذاباً إلى عذابهم ثم سقوا ما هو أحر وآلم وأكره .(ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) لما ذهب بهم من منازلهم التي أسكنوها في النار إلى شـــجرة الزقوم للأكل والتملؤ منها والسقي من الحميم ونواحي رجوعهم إلى منازلهم ، دخلت(ثم) لدلالته على ذلك والرجوع دليل على الانتقال في وقت الأكل والشرب إلى مكان غير مكانهما ثم ذكر تعالى حالهم في تقليد آبائهم)) (٦٠) .

أما الفصل فيتجلى بوضوح ويدرك عند التأمل في دلالة الآية : كقوله تعالى : (لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ)(٦١) ، إذ انه ((كلام منقطع مبتدأ ، اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع ، وأنهم لا يقدرون ان يستمعوا أو يسمعوا ، وهم مقذوفون

بالشهب مبعدون عن ذلك الا من أمهل حتى خطف الخطفة واسترق استراقة ، فعندها تعاجله الملائكة بإتباع الشهاب الثاقب ، ولا يجوز ان يكون (لا يسمعون) صفة ولا استئنافاً جواباً لسائل سأل لم يحفظ من الشياطين لأن الوصف كونهم لا يسمعون أو الجواب لا معنى للحفظ من الشياطين على تقديرهما ، إذ يصير المعنى مع الوصف : وحفظاً من كل شيطان مارد غير سامع أو مسمع وكذلك لا يستقيم مع كونه جواباً)) (٦٢) .

وبمعرفة الفصل والوصل بين دلالات المفردات أو بين التراكيب تستبان حدود هذه المفردات في علائقها وتراكيبها ، لذا قيل : ((إن علم المعاني معياره الفصل والوصل بمعنى ان من أدركه كما ينبغي لم يصعب عليه شيء من سائر الأبواب بخلاف العكس)) (٦٣).

وقد تكون جملة مفصولة بلحظ وموصولة بلحظ آخر ، لتوافق طبيعة السياق ودلالة الإسناد وتناسب النظم ودقة المعنى ، كقوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) (٦٤) قال الطوسي في بيان المعنى ((كلهم قرأ (أصطفى) بفتح الهمزة الا ورشاً وإسماعيل عن نافع فانهما وصلاه على الخبر وبه قرأ أبو جعفر قال أبوعلي الفارسي:يجوز ان يكون على تقدير (لكاذبون) في قولهم قالوا (اصطفى) ، ويجوز ان يكون اصطفى البنات على ما يقولونه والوجه قطع الهمزة لأنه على وجه التقريع ويقوي قوله : (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ)...أن قريشاً كانت تقول :الملائكة بنات الله تعالى ، فأمر الله نبيه (صلى الله عليه آله) ان يستفهم ...، ومن قطع الهمزة أراد الإنكار بلفظ الاستفهام والمعنى كيف يكون هذا وكيف يختار البنات على البنين ، ومن وصل الهمزة أراد الإخبار بذلك ، فالاصطفاء إخراج الصفوة من الشيء وهي خالصة وانما يصطفي الله تعالى أفضل الأشياء ، ومن اصطفى الأدون على الأفضل مع القدرة على الأعلى كان ناقصاً والله تعالى لا يليق بصفات النقص في اصطفاء البنات على البنين)) (٦٥) .

٥- الإظهار والإضمار :

تمثل نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني تطوراً ملحوظاً لما طرحه النحويون الذين سبقوه ، إذ بهذه النظرية كان الاهتمام بمعاني النحو ((واعلم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله)) (٦٦) فبحث الظاهر والمضمر بحث مهم من أبحاث علم النحو ، فظاهرة الإضمار والإظهار اهتم بها علماء البلاغة والمهتمون بالدلالة التعبيرية للتراكيب إذ ((يلاحظ البليغ أحوال المخاطبين والسامعين فيراعي ذلك في خطابه وعندئذٍ يوصف بان كلامه مطابق لمقتضى ظاهر الحال وقد يعدل البليغ عن هذا الظاهر لنكتة بلاغية وعلى المخاطب ان يبحث عن سبب العدول))(٦٧) والانزياح الذي تولده دلالة التراكيب اللغوية فحالة العدول أو الانزياح عن القاعدة الأصلية تمثل حالة الخروج عن مقتضى الظاهر وتشهد تحولاً بلاغياً فمتى عد الإضمار بنية أصلية كان الإظهار تحولاً بلاغياً ومتى عد الإظهار هو البنية الأصلية كان الإضمار هو التحول البلاغي (٦٨) .

من مظاهر وضع المضمر موضع الظاهر : ذلك ان بنية الأصل هي الإظهار ولكن التحول حدث لوضع المضمر موضعه ، ومن ذلك في سورة الصافات قوله تعالى : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) (٦٩) قال الفراء: ((ولم يقل صالحاً فَهذا بمنزلة اذْنُ فأصب من الطعام ،وهو كثير يجتزأ بمن عن الظاهر كما قال الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (٧٠) ولم يقل زاهداً من الزاهدين)) (٧١) فهذا الخروج عن مقتضى الكلام هو تحول بلاغي له دلالة مستفادة من المعنى السياقي الذي تشير إليه الآيات الكريمة وقد جاء الضمير موضع الظاهر لقصد التفخيم والعناية به كما في قوله تعالى : (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ) (٧٢) ، (إن) هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين ولزمت اللام في خبرها للفرق بينها وبين (ان) الخفيفة التي بمعنى (ما) ، فاسم (ان) مضمر (وكانوا) وما بعدها خبر (ان) ، والواو اسم كان وليقولون خبرها (٧٣) .

ومن المواضع الأخرى في قوله تعالى: (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (٧٤) قال الفراء : ((والمعنى وقد أرسل إليهم (محمد) ثم قال بالقرآن فكفروا به وهو مضمر لم يُذكر لأن معناه معروف مثل قوله : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ) (٧٥) (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) ، فوصل قول فرعون بقولهم لأن المعنى بين)) (٧٦) .

فالعدول في الكلام هو تحول بلاغي له دلالة سياقية في النص القرآني تجمع بين القدرة على الإبلاغ والقدرة على التعبير تدل على تفرد النص القرآني من دون غيره من أنواع التأليف الأخرى بطريقة نظمه وأسلوبه الدال على تناسق الشكل اللغوي واتساق دلالاته التعبيرية .

الخاتمة:

١- للسياق الأثر الكبير في الدلالات التركيبية ، إذ فيه تعين دلالة المفردة ويستقر معنى التركيب.

٢- إن أسلوب الذكر والحذف واحد من الأساليب التعبيرية عند العرب بما تحمل من شحنات دلالية بناء

على المـكون التركيبي وقد وجدنا صدى ذلك في التراكيب القرآنية في سورة الصافات .

٣- يعد وجود هذه الأساليب في القرآن الكريم بوصفه وجهاً من وجوه نظمه المعجز، إذ يكمن فيه جمالية النسـق وحسن التأليف

٤- الثراء الدلالي الذي انمازت به السورة الكريمة والناتج عن المكون التركيبي عبر النـظام الطبيعي ، وقد جاءت النصـوص التطبيقية متنوعة في السورة متوازنة مع الجانب التطبيقي وهذا دليل على ما تتمتع به سورة الصافات من حضور لدلالة الأساليب التركيبية سواء في التقديم والتأخير أو التعريف والتنكير ودلالة التحول بين الإظهار والإضمار والفصل والوصل والذكر والحذف ، نرجو ان تكون هذه الوريقات على الرغم من قصورها مما ينتفع به في حقل الدراسات القرآنية والدلالية .

الهوامش:

١) دلائل الإعجاز: ١٥٢-١٥٣
٢) الصافات :٥
٣) البحر المحيط : ٤٦٨/٧
٤) التكوير : ٢٣
٥) النجم :٧
٦) الميزان :١٢٢/١٧
٧) الخصائص: ٢/ ٣٦٠
٨) خصائص التراكيب : ١١١
٩) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٣٧
١٠) الصافات : ٣٨
١١) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٦١٢/٢
١٢) الصافات :١
١٣) الصافات :٤
١٤) التبيان : ٤٨١/٨
١٥) الصافات :٦-٧
١٦)معاني القرآن ، الأخفش ٦٦٨/٢
١٧) الصافات : ٨٦
١٨) يوسف : ٨٢
التبيان : ٥٠٨/٨ (١٩
٢٠) الصافات : ١٠٠
٢١) التبيان :٥١٥/٨
٢٢) الصافات : ١٣١
٢٣) مشكل إعراب القرآن :٦١٥/٢
٢٤) الصافات :١٦٤
٢٥) ينظر: التبيان ٥٣٥/٨ ، ومشكل إعراب القرآن:٦٢١/٢
٢٦) خصائص التراكيب :١٣٥
٢٧) ينظر :تكوين البلاغة : ١١٧
٢٨) دلائل الإعجاز :٧٢-٧٣
٢٩) الصافات :٦-٧
٣٠) البحر المحيط: ٤٦٩/٧
٣١) الصافات :٧١-٧٥
٣٢) البحر المحيط: ٤٨٤/٧
٣٣) الصافات :٨٣
٣٤) يس:٤١
٣٥) معاني القرآن، الفراء :٣٣٩/٢، وينظر : التبيان : ٥٠٧/٨، والبحر المحيط :٤٨٩/٧
٣٦) الصافات: ٨٦
٣٧) البحر المحيط: ٤٨٦/٧
٣٨) بلاغة الكلمة والجملة والجمل :٦٦
٣٩) ينظر : من بلاغة القرآن :١٢٨
٤٠) الصافات: ٧٩
٤١) المطففين:١
٤٢) البيان في غريب إعراب القرآن :٣٠٦/٢
٤٣) ينظر: علم المعاني تأصيل وتقييم :١٤٥
٤٤) الصافات :٦
ينظر : السبعة في القراءات :٥٤٦ *
٤٥)العلق :١٥-١٦
٤٦) معاني القرآن ، الفراء :٣٣٤/٢، وينظر التبيان :٤٨١/٨،البيان في غريب إعراب القرآن ٣٠٢/٢
٤٧) ينظر : البرهان : ١٩٠/٣
٤٨) الصافات : ١٠
٤٩) التبيان في إعراب القرآن :٦٧٣/٢
٥٠) الصافات :٣٨
٥١) البيان في غريب إعراب القرآن :٣٠٤/٢، وينظر : البحر المحيط :٤٧٦/٧
٥٢)بدائع الفوائد :٣٢/٢
٥٣) دلائل الإعجاز: ١٧٠
٥٤) تلخيص الإيضاح : ٨٦
٥٥) الصافات: ٢٢
٥٦)البحر المحيط: ٧/ ٤٧٤
٥٧) الصافات: ٤٥-٥٠
٥٨) البحر المحيط: ٤٧٩/٧
٥٩) الصافات: ٦٦-٦٩
٦٠) البحر المحيط :٤٨٤/٧
٦١) الصافات :٨
٦٢) البحر المحيط: ٤٦٩/٧
٦٣) حاشية الدسوقي على مختصر السعد :٥٦/٢
٦٤) الصافات: ١٥٣
٦٥) التبيان: ٥٣٢/٨
٦٦) دلائل الإعجاز :٦٤
٦٧) المعاني في ضوء أساليب القرآن :٢٤٨
٦٨) ينظر : تكوين البلاغة :١٧٧
٦٩) الصافات: ١٠٠
٧٠) يوسف :٢٠
٧١) معاني القرآن ، الفراء :٣٤٠/٢
٧٢) الصافات: ١٦٧
٧٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن :٦٢١/٢
٧٤) الصافات: ١٧٠
٧٥) الأعراف :١١٠
٧٦) معاني القرآن ، الفراء :٣٤٦/٢

المصـــــادر والمراجع

١- البحر المحيط : أثير الدين المعروف بابن حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث بيروت - لبنان ، د.ت.
٢- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الطباعة المنيرية ، د.ت.
٣- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمدبن عبد الله الزركشي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ،٢٠٠١.
٤- بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٨.
٥- البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات عبد الرحيم بن محمد الانباري تحقيق ، الدكتـــــور طه عبد الحـــميد طه ،

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
٦- التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله عبد الحسن العكبري ، تحقيق سعد كريم الفقي ، دار اليقين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م.
٧- تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح) ، علي الفرج ، دار المصطفى لإحياء التراث ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ .
٨- تلخيص الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، مطبعة ومكتبة محمد صبيح وأولاده ، مصر ، ١٩٧١.
٩- حاشية الدسوقي على مختصر السعد (سعد الدين التفتازاني على متن التلخيص)، محمد عرفة الدسوقي ، دار الطباعة العامرة ، ١٢٧٦هـ .
١٠- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٠ .
١١- خصائص التراكيب محمد حسنين موسى ، دار التضامن للطباعة ط ٢، القاهرة ، ١٩٨٠.
١٢- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ط ٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ =٢٠٠٤ م.
١٣- السبعة في القراءات : لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف القاهرة د.ت .
١٤- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: الدكتور طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، الإسكندرية، د.ت.
١٥- علم المعاني تأصيل وتقييم ، د. حسن طبل ، مكتبة الإيمان بالمنصورة الطبعة الأولى ، ١٩٩٩.
١٦- مشكل إعراب للقرآن : أبو محمد مكي بن أبي طالب ألقيسي ، تحقيق : الدكتور حاتم الضامن دار الحرية ، بغداد ، ١٣٩٥هـ =١٩٧٥م.
١٧- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، توزيع المكتبة الأموية ، طباعة ونشر وتوزيع ، ط ٤ ، ١٩٨٣.
١٨- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق فاتن محمد خليل ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت – لبنان ، ١٤١٩ هـ =١٩٩٨ م.
١٩- معاني القرآن : الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي، تحقيق د. عبد الأمير الورد، ط ١ ، عالم الكتب بيروت ، ١٩٨٥ .
٢٠- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، الطبعة الأولى ، د.ت.
٢١- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، ط٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٣ م .